

الحركة الآريوسية المسيحية من الإضطهاد الديني إلى الانتشار - دراسة أنثروبولوجية تاريخية.

The Arian Christian movement from religious persecution to spread - a historical anthropological study.

لعمش عبد الحفيظ^{1*}

¹ جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريرج

Abdelhafid.lameche@univ-bba.dz

² نور الدين دحمار

² جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريرج

Noureddine.dahmar@univ-bba.dz

تاريخ القبول: 2025/04/18

تاريخ الاستلام: 2025/02/24

ملخص:

إحتدم الصراع بين أنصار عقيدة التوحيد الآريوسية، وعقيدة التثليث التي نادى بها بولس منذ القرن الرابع للميلاد مستخدما النسق العائلي الديني مستلهما من اليهودية قواعد التغيير الثقافي ، حيث تبنت دعوة بولس السلطة الرومانية لقرابة ومصاهرة فقامت بتثبيت دعوته في المجامع الكنسية ، وصد دعوة التوحيد التي نادى بها الأسقف الإسكندري ذي الأصل اللبني (آريوس) ، بحسب النسق الديني القائل بطبيعة المسيح البشرية. ومع الانتشار الواسع للآريوسية في الشرق، وفي الغرب تحت سلطة الإمبراطورية الرومانية لاقت صورا من الإضطهاد والتنكيل ، من المسيحيين الكاثوليك؛ ومن أتباع المذهب البعقوبي؛ أتباع (اثناسيوس) ، ولكن الآريوسية انتشرت حتى وصلت إلى أوروبا ، فاعتنقها القوط الشرقيون ، وأغلب الشعوب الجرمانية ، والوندال في شمال إفريقيا، ومع ظهور الإسلام إنسجمت الآريوسية المسيحية في عقيدتها مع التوحيد الإسلامي، خصوصا في إسبانيا ، وبسقوط الأندلس من يد المسلمين انكمشت الآريوسية إلى حد الإنقراض ، وبقيت تظهر بين الحين والآخر بأسماء متعددة تعيد التعبيرات القديمة الخاصة بأفكار آريوس التوحيدية.

الكلمات المفتاحية: الآريوسية؛ البناء العائلي؛ الدين؛ العنف؛ الهرطقة.

* المؤلف المرسل، لعمش عبد الحفيظ، الايميل: Abdelhafid.lameche@univ-bba.dz

Abstract:

The conflict between the proponents of the Arian monotheism and the doctrine of Trinitarianism, which was advocated by Paul since the fourth century AD, using the religious familial pattern inspired by Judaism as the basis for cultural change, as Paul's call was adopted by the Roman authority due to kinship and affinity, which confirmed his call in church councils, and repelled the monotheism advocated by the Alexandrian bishop of Libyan origin (Arius), according to the religious pattern of the human nature of Christ (Arius). With the widespread spread of Arianism in the East and in the West under the authority of the Roman Empire, it faced forms of persecution and abuse from Catholic Christians; the followers of the Jacobite doctrine; the followers of Athanasius, but Arianism spread until it reached Europe and was embraced by the Ostrogoths, most of the Germanic peoples, the Vandals in North Africa, and the Vandals in North Africa. With the emergence of Islam, Christian Arianism harmonized in its doctrine with Islamic monotheism, especially in Spain, and with the fall of Andalusia from the hands of the Muslims, Arianism shrank to the point of extinction, but it continued to appear from time to time under various names that restore the old expressions of the monotheistic ideas of Arianism.

Keywords: Arianism; family structure; religion; violence; heresy.

مقدمة:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى إمالة اللثام عن نقاط مظلمة من تلك الدراسات الأنثروبولوجية المتعلقة بالمسيحية الكلاسيكية، وخاصة مع ظهور حركة الجدل الديني المسيحي اللاهوتي تحت قيادة المذهب الأريوسي بزعماء أريوس، إذ تعددت الاتجاهات الكنسية خلال الفترة المصاحبة لظهور هذه الحركة والتي إنجرت حولها تحولات في السياسة الرومانية إبّان القرنين: الرابع والخامس للميلاد، حيث ساد فيهما البعد الثالوثي للآهوت المثلث المسيحي، خدمة لديانة الإمبراطورية الرومانية، وللفلسفة الوثنية اليونانية بالدرجة الأولى. وما يثير الدهشة والتساؤل حول الحركة الأريوسية في الديانة المسيحية الكلاسيكية أنها ولدت من رحم الإضطهاد والبطش الذي كان يمارسه الأمباطور الروماني ضد أي حركة دينية تظهر، اعتقاداً منه أنّها تشكل خطراً على سلطته، وفي المقابل هل استسلمت الأريوسية للسلطة المدنية الرومانية وللكنيسة الكاثوليكية

عند ظهورها؟ كيف تمكنت الآريوسية من الإنتشار خارج السلطة الدينية الكنسية التي ناصرها قسطنطين؟ إن الدراسة المورفولوجية لحركة الآريوسية في شكلها الظاهري والباطني حركة توحيدية في عقيدتها خلاف ما قرره مجمع نيقية. وي طرح السؤال هنا: هل المسيحية ترومت بعقيدة الرومان الوثنية؟ وبالتالي كان رفض آريوس لهذا الإنحراف قد يمس بفقدان مسيحية المسيح الصحيحة ؟ وهل ظل نشاط آريوس في بيئته يصنع الحدث في النسق الاجتماعي المسيحي، ثم راح يدعو إلى التوحيد في خارج محيطه؟

وللإجابة عن هذه الإشكاليات ، تجلّت مظاهر إختيار موضوع الحركة الآريوسية المسيحية بين الانشقاق الديني إلى الانتشار، عن طريق الإستغلال للموارد البيئية والنشاط البشري لأتباعها ، فأصبحت من أبرز وأهم حركة دينية موحدة في عقيدتها، خلال نهاية القرن الثالث للميلاد بالإسكندرية ، وكان لها الأثر الكبير في زعزعة السلطة الرومانية والكنيسة على السواء. لقد اتخذت الآريوسية تعبئة اجتماعية في الوقت الذي تحالفت السلطة الرومانية مع الكنيسة ، وتحولت الحركة الآريوسية من حركة دينية مضطهدة انشقاكية عن الكنيسة الرسمية، إلى حركة تمرّد على أجهزة الإمبراطورية ، وعلى رموزها ، وذلك بعد إلحاقها بالطبقة العامة من المجتمع المسيحي محققة الانتشار الواسع في كثير من المناطق المعادية للرومان البيزنطيين، وساهم أيضا الجدل الديني اللاهوتي حول طبيعة المسيح في بروز الحركة الآريوسية كحركة فكرية معادية للمذاهب والفرق الكنسية المؤهّلة للمسيح، وللمذاهب الرومانية الوثنية.

لقد كان المنهج التحليلي والوصفي ملائما لطبيعة الموضوع بغية الوصول إلى نجاح هذه الحركة في الانتشار في بداياتها الأولى ، ثم تفهقها وإندثارها من بعد ذلك ، إذ انطلقت كحركة دينية مضطهدة، تحررية رافعة للواء التوحيد، ورافضة لعقيدة التعدد الأقنومي الروماني ، وتنتهي إلى شئ غير موجود. أولا: ظهور الديانة المسيحية وإنتشارها.

1 العوامل المساعدة على إنتشارها:

ظهرت المسيحية في إقليم الجليل (بفلسطين) (نعيم فرج، 1984، ص 10) خلال حكم الإمبراطور (تبريوس)، (larousse;paris1967,p.p. 288-230). وحملها عيسى بن مريم - عليه السلام داعيا إلى الله وناصحا للخير ، وجمع حوله بعض من الأنصار المخلصين ، وتدعّم هذا الدين الجديد بانضمام العديد من الأتباع ، وأقلق بال القائمين بأمر الإمبراطورية الرومانية مما جعلهم يضطهدون أتباعه ، ولكنهم لم يستطيعوا لإيقاف انتشار هذا الدين الجديد (جنير شارل ، 2005، ص ص 22-23).

وبدأ الحواريون بالانتشار في كل اتجاه من فلسطين للدعوة للدين المسيحي ، لكن العداء لهم كان قويًا من طرف المجتمع اليهودي، ومن الوثنيين أيضا ، حيث تسامح الرومان مع اليهود في عدم المشاركة في عبادة الإمبراطور ، ولم يتسامحوا مع المسيحيين ، لعلمهم أن اليهود يخافون على ذهاب امتيازاتهم الإقتصادية والعائلية، وبالتالي فقد انهم للزعامة الروحية، التي يجنونها وراء دينهم ، فعمل الكل على الحد من انتشار المسيحية فتأمروا على قتل المسيح ، ودلّهم عليه أحد عملائهم ، من أصحاب المسيح ، الذي شبّه له لهم فقتلوه، وصلبوه معتقدين بأنه هو المسيح ، وبعد رفع السيد المسيح إلى مولاه -عزّ وجل-، تفرّق أتباعه في نواحي البلاد لنشر عقيدته ودينه، وكتب بعضهم الأناجيل بمثابة البشارات، والتي اختلفت فيما بينها بالزيادة أو بالنقصان، حتى وصل الاختلاف أحيانا إلى درجة التناقض فيما بينها ، على اعتبار أن الإنجيل لم يجمع بالّلغة التي أنزل بها ، ولا في أيام نزوله (محمد بن مبارك المليي، 1963، ص217).

إنّ انتشار المسيحية الكلاسيكية ظل مجهولا على الأقل خلال القرن الأول والثاني للميلاد، لأنّ الأباطرة كانوا يتوجّسون خيفة من هذه العقيدة، ومن أتباعها الذين تنظر إليهم الحكومة كطائفة من اليهود ، ومن ثمة استفاد المسيحيون من اتجاه روما لخصومهم من اليهود الذين كانوا يلاحقون المسيحيين منذ البداية ، ومنهم بطرس الذي خرج من فلسطين إلى روما سنة 53 م لينشر الدين الجديد بين سكانها. وفي سنة 64 م أحرقت بعض أحياء مدينة روما ، وأكّهم فيها المسيحيون بإحراقها مما جعل الإمبراطور آنذاك (نيرون) (Nouveau Larousse ;1969,p 292) يصدر مرسوما يقضي بأن لا يكون أحدا مسيحيا.

وتذكر الدراسات الأثنولوجية أنّ أتباع المسيح استمالوا اليهود اليونانيين العائدين من المهجر إلى عقيدتهم الدينية بعدما جاءوا إلى القدس ترويجا للاحتفالات الدينية، ثم التبشير بالمسيحية في العديد من المناطق ، ومنهم من انتقل إلى طرسوس حيث يقيم (بولس) ، (جنير شارل، 2005، ص ص 68-69) الذي سوف يكون دغامة المسيحية في المستقبل. ومع نهاية القرن الثاني للميلاد كانت المسيحية قد انتشرت في أجزاء كثيرة خارج فلسطين، ويظهر ذلك من خلال عقد المجامع الكنسية والنظر في أمور العقيدة، وفي إعادة تعميم الموصفون بالهرطقة، وأعلنوا توبتهم ،وعادوا إلى حضن الكنيسة.

2.1 موقف السلطة الرومانية من انتشار المسيحية :

دنت المسيحية من طبقة المستضعفين من خلال دعوتها إلى المساواة، والتكافل، والزهدي في ملذات الحياة ، ممّا جعل الطبقة الغنية الرومانية الوثنية تنظر إلى المسيحيين بعين الشك والريبة ، وكثُر أعداء المسيحية

من يهود أصحاب المال والوثنيين، ومن السلطة الرومانية، فيلاقي أتباع المسيحية الإضطهاد، بل تمّ تحمّلهم مسؤولية الكوارث التي تقع. ونظرت السلطة الرومانية إلى المسيحيين أنّهم مواطنون أشراراً، وعناصر خطيرة في المجتمع نظراً لمقتهم وترفعهم عن ممارسة شعائر الديانة الرسمية، وعدم تقديسهم لصور الإمبراطور، ولا يشتركون في عبادة الروح الحارسة للإمبراطور، لذلك تميزت مواقف السلطة الرومانية من انتشار المسيحية بمرحلتين مهمتين، وهما: مرحلة العداء ومرحلة الإحتواء.

- المرحلة العدوانية:

ويمكن أن نميز بين مرحلتين في تعامل السلطة الرومانية مع الديانة المسيحية، المرحلة الأولى، وهي مرحلة العداء منذ ظهورها إلى بداية القرن الرابع للميلاد، والفترة العنيفة من هذه المرحلة من 303 م إلى سنة 311 م (محمد بن مبارك المليي، 1963، ص 160). حيث تولّى دقلديانوس في هذه الفترة بنفسه تقديم القرابين للإله (جوبيتر)، وكان شديد الكره للمعتقدات الجديدة التي رأى أنّها ستدمّر إيمان رعاياه، وتقلل من الولاء له، وتضعف من وحدة الإمبراطورية. وتصدّت الكنيسة لهذا العداء مخيرةً أتباعها بين الإخلاص للمسيح، أو الإخلاص للإمبراطور، فتأثّر بهذه الفكرة الكثير من أفرادها المنتمين إلى الجيش الروماني، ولاحت بشائر الإنتصار للمسيحية، خصوصاً لما اعتنقها كل من زوجة وابنة الإمبراطور، وينادي العساكر بقسطنطين إمبراطوراً لتحلّ المرحلة الثانية في معاملة السلطة مع الكنيسة (السيد الباز العريني، 1968، ص 43).

- المرحلة الإحتوائية:

وهي المرحلة الثانية؛ وتبدأ من سنة 311 م حيث يصدر فيها قسطنطين براءة ميلانو سنة 313 م في الشرق مع زميله في الحكم ليكيينيوس أغسطس، والتي أقرّت مبدأ التسامح الديني، وأعاد للمسيحيين كنائسهم، وأملأهم المصادرة، وتمّ تعويض المتضررين. (السيد الباز العريني، 1968، ص 47). وتعود صور هذا التسامح لما حقّقه قسطنطين من انتصارات على خصمه ماكستتيوس، وانتزاع شمال إيطاليا منه، واستيلائه على روما سنة 312 م حاملاً الصليب كرمز للمسيح، ولإله الشمس على السواء، وكان حمله للصليب لرؤيا رآها في السماء.

كان لسلسلة الاضطهاد والمؤامرات التي صاحبت بداية المسيحية الكلاسيكية الأثر في نهج أسلوب السريّة، وعدم الجهر بالدين الجديد ، فكانت تدعو إلى رفض عبادة الإمبراطور وتعمل على نشر المحبة بين الناس، وكانت تدعو إلى تطبيق قواعد الأخلاق، وتدعو إلى العدالة، وترفض التمييز الاجتماعي.

ومهما يكن من أمر فإنّ المسيحية قد انتشرت عبر منافذ متعددة ، وظل تاريخ بدايتها مجهولا نتيجة لسياسة الاضطهاد التي عانت منها ، باعتبار أتباعها أعداء الإمبراطور ، ذلك لأنهم كانوا يسخرّون من آلهة الوثنيين ويحتقرونها وشخص الأمبراطور، وكان الجهر بالمسيحية يُعد جريمة يعاقب عليها ، والحكم على المتهم بالتعذيب دون الرجوع إلى قواعد العدالة.

ومهما يكن من أمر فإنّ المسيحية قد انتشرت كعقيدة توحيد بالرغم من تعدد المعبودات ، وبالرغم من الأذى الذي سبقت الإشارة إليه (Gsell, (Stéphane) p.91)، وليس كما يعتقد (هـ. آيدرس بل) من أن الحركات التوحيدية في تاريخ الكنيسة ما هي إلاّ مهارات دينية ، شهدتها القرن الرابع الميلادي، والقرون التالية ، والتي تعود -بحسب رأيه- إلى أحقاد مريّة وأطماع وخصومات فردية ، وإلى أساليب تنطوي على الخداع والتضليل (هارولد. آيدرس (بل)، 1973، ص 162)، أو أنّها ضرب من الخبل والانحراف الفكري الذي صاغه آريوس الإسكندري ضد أكبر معارض له هو القديس الأسقف (أثناسيوس). ويعتبر (هـ. آيدرس بل) أنّ القائلين بالتوحيد ؛ ويقصد بهم الآريوسيين أنّهم من الدهماء أقرب إلى الوثنيين الذين لا يكادون يفرقون في حديثهم بين " الله " و " الآلهة " ، ويورد النص الانكليزي التالي (هارولد. آيدرس (بل)، 1973، ص 163)،

“God Head was One: There were many telephones lined and They ran through a number, smaller but appreciable, of different switch boards”.

ويبرر (هـ. آيدرس بل) إنتصار المسيحية المثلثة، على الآريوسية الموحدة، أي انتصار المثلثون المؤمنون بعقيدة التجسّد، والمؤمنون بمنقذ ، كان إلهًا وبشرًا في آن واحد (عبد الكريم الخطيب، 1976، ص 125)، أي الإيمان بإله من طبيعة أبيه، وببشر من طبيعة أمّه ، وهذه هي عقيدة خصوم آريوس، ومنهم أثناسيوس الذي كان يقاتل لتقرير هذا المبدأ الخطير في الديانة المسيحية.

بدأت المسيحية في القرن الثاني للميلاد تتوغّل في المجتمعات البشرية في الحضر والبدواة ، وصارت بمثابة المعبر عن طموحات الطبقات الضعيفة ، بما حملته من تسامح وعدل وتضامن، في دعوتها الدينية ، في الوقت الذي كانت فيه السلطة المدنية الرومانية تمارس التسلّط البغيض والاضطهاد الشنيع ضد كل من

تراه مخالفا لعبادة الإمبراطور، ظهر المسيح ، الذي إعتبرته مارقا، وخارجا عن قوانين الدولة ، لأن دعوته كانت تهدف إلى إنكار عبادة الإمبراطور وأسرته ، ونبد قرارات حكام الإمبراطورية الأحياء منهم والأموات ولم تعد ديانة الإمبراطور شخصية بل أصبح للناس آلهة في المدن وآلهة للجيش حتى أعتبر أغسطس إلهًا باعتباره بطلا مخلصا (السيد الباز العريني، 1968، ص 21)، كما ظلت الطبقة المثقفة المشتبهة بالفكر الفلسفي تنشد المذهب الرواقي بما إنطوى عليه من أخلاق سامية ، وإيمان بكل الآلهة، مؤكدة لحياة الإتحاد بين الله والإنسان (السيد الباز العريني، 1968، ص 22).

وفي القرن الثالث للميلاد كان للمدرسة الفلسفية الأفلاطونية الحديثة المكانة الهامة ضمن المدارس الفلسفية في الإمبراطورية الرومانية التي روجت لأهم القيم الإنسانية، التي لا تتم إلا بممارسة التصوف والزهد ، ليتم بهذا السلوك بلوغ الاتصال بالآله الأعظم. ويذهب (شارل جنير) إلى أن المسيحية الأولى كانت في جوهرها ديانة شرقية ، كانت تركيبا ساهمت فيه اليهودية بالأسس، ثم جاءت عناصر البناء الأخرى من العالم الهلنستي الذي تألفت فيه التأثيرات اليونانية مع التأثيرات الشرقية الخاصة من آسيا الصغرى وسوريا ، وما بين النهرين ، وإيران ، ومصر ، منذ عهد انتصارات الإسكندر، ووجد الغرب نفسه أرضا مهيأة للمد المسيحي، بفضل ما كان منتشرا فيه من عبادات شرقية كثيرة متعلقة بآلهة " الخلاص" مثل عبادة إيزيس ، أو عبادة الأم الكبرى الفريجية ، أو عبادة ميثرا ، وغير ذلك من الآلهة التي صاحبت قوافل التجار وسفنهم، أو تنقلت مع فرق الجند في البلاد المختلفة. غير أن الغرب لم يكن له شأن في تطور واكتمال الديانة الجديدة ، بل تناولها من محيطها البيئي الخارجي ، ولم يؤثر فيها عند أخذه بها، بل زاد من صلابتها ، ومن تعصبها ، فقد كان قاصرا على إدراك معارج التفكير اليوناني – منبع اللاهوت الأول – في سيولته وإنسيابه ، معبرا عنها بلغته اللاتينية الجامعة، التي لا تقبل التطويع، إلا في عسر عسير. وكان قاصرا تمام القصور عن الوصول إلى تفهم التيارات البالغة التعقيد، التي تتداخل في تكوين العاطفة الدينية الشرقية والتي تفسر كل ذلك القلق والاضطراب اللذان مرّ بهما الإيمان خلال القرون الأولى من نشأته (جنير شارل، 2005، ص 195-196).

لقد شهد القرنان الأول والثاني تطورا للظاهرة الدينية المسيحية الكلاسيكية بشكل بطيء لعدم اعتراف السلطة الرومانية لها ، وممارستها العنف ضد معتنقيها ، وبلغ هذا العنف ذروته في عهد دقلديانوس. (السيد الباز العريني، 1968، ص 31) الذي إعتبر الكنيسة دولة داخل دولة ، وهو ما يتعارض مع أول

مبدأ لما أقامه من نظام استبدادي ؛ هذا النظام الذي انتصرت عليه الكنيسة باعتبارها الكفيل لسعادة الرجل في الآخرة بفضل الإستشهاد من أجل العقيدة ، وهو ما لم يكن معروفا لهذا الفكر والتضحية، في العالم القديم الوثني .

3.1 عوامل الانشقاق الكنسي وظهور الآريوسية:

في ظل ظروف العنف والتعذيب والاضطهاد ظهرت حركة آريوس (250 م ، ت 336 م)، والمدان بالهرطقة من طرف مخالفيه من رجال الكنيسة، لرفضه القول بطبيعة المسيح الإلهية ، مما أدى إلى عقد مجمعا محليا تحت رئاسة أسقف الإسكندرية سنة 316 م من أجل مقولاته زتصوراته، ولما تمادى آريوس في دعوته إلى عقيدة التوحيد تلاه عقد مجمعا آخر، هيأ الظروف لإنعقاد مجمع مسكوني تحت رئاسة الإمبراطور سنة 325م ببنقية، ويتم طرد وحرمان آريوس من كل صلاحيات التمثيل الكهنوتي.

إنّ الكره الذي كان يكتنه المثقفون والوثنيون من الرومان تعود جذوره إلى القرن الثاني الميلادي ولا يزال مستمرا في إحتقار المسيحيين، كيهود منحرفين، فأנקروا معابدهم، وأعتبروهم أصحاب عقيدة لا تستحق مشقة دراسة، بل روجوا ضدهم دعايات سلوكية مقيتة جعلت الناس يكرهونهم لغرابة أسلوب حياتهم، ولبشاعة ما أشيع عن اجتماعاتهم من أخبار تدور حول التحلل الخليع، التي تصاحبه أعمال مشينة. وبالرغم من هذه التهم فإنّ المسيحيين رفضوا إقامة الشعائر باسم إلهية الإمبراطور ، وامتنعوا عن تمجيد صورته بإحراق البخور أمامها، مما أدّى إلى إتهامهم بالتآمر عليه.. لذلك نقرأ عن بعض الشهداء خلال القرن الثاني ، وخاصة في آسيا الصغرى في عهد تراجان وفي مدينة ليون، تحت حكم أوريل عام 176 م (جنير شارل، 2005، ص ص 168-169).

وفي بداية القرن الرابع للميلاد ظهرت حركة آريوس كحركة دينية بعد انشقاقها عن الكنيسة الرسمية التي أصبحت تابعة للسلطة الرومانية ، وذهبت الآريوسية إلى إنكار إلهية المسيح ، هذا الإنكار الذي أعابه بطريك أنطاكية (مركلوس) وأساقفته الذين قاوموا آريوس وحرموه في مجمع 325 م، وتعود أصول الفكر الآريوسي إلى (بولس السمساطي، ولوقيانوس الأنطاكي) اللذان إعتقدا بخلاف طبيعة الإبن عن طبيعة الآب. لقد كانت الآريوسية في البداية حركة دينية معادية للكنيسة التي ارتمت في أحضان السلطة الرومانية ، وتحولت الكنيسة إلى حامية لها ، وهذا ما أفقد الكنيسة قوّتها وتأثيرها بعد أن كانت ملاذا للمضطهدين ، وإنقسمت المسيحية إلى نختين: إحداها موالية للإمبراطور، والأخرى معادية له.

ظهرت الآريوسية كتيار ديني مسيحي مستقل رافض لكل أنواع التعاون مع السلطة الرومانية ، ولأوامر الأباطرة ، مما جعل زعماء هذا التيار يتعرّضون للقمع ، ويتحولون إلى زعماء بعد إدانة آريوس ، ممّا أعطى للآريوسيين المزيد من العزم لمواجهة الإمبراطور في مجمع نيقية. ويذهب الشيخ (محمد أبو زهرة) إلى أنّ المسيحية كان التوحيد فيها هو السائد بين معتنقيها ؛ ومنهم آريوس عندما ظهر مقاوماً فكرة إلهية المسيح ، ومنازعا كنيسة الإسكندرية في ذلك المبدأ الذي كانت تبثّه في النفوس وهو إلهية المسيح ، وتنادي على رؤوس الأشهاد في كل من مصر ، وفلسطين والقسطنطينية ، وحتى الإمبراطور قسطنطين كان يشايع فكرة ألوهية المسيح ويناصرها. ويقسم (أبو زهرة) عصور المسيحية إلى قسمين أو مرحلتين: عصر التوحيد : ويجعله نهاية الزمن الذي انعقد فيه مجمع نيقية ، إذ غالبت فكرت التوحيد إلهية المسيح مع زيادة ربح من زمن غير قصير بعد هذا المجمع. والعصر الثاني عصر تأليه المسيح : ويبدأ زمنه بعد مجمع نيقية ، بعد انطفاء نور التوحيد في وسط المسيحيين (محمد أبو زهرة، 1404هـ ، ص 176).

4.1 مبادئ الحركة الآريوسية في أبعادها الاجتماعية والثقافية:

كان للأوضاع الاجتماعية والثقافية المتمثلة في الجوانب الدينية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية للمجتمع الروماني الدافع الذي ساعد الدعاية الآريوسية على الإنتشار ، وأصبحت هذه الدعوة متنفساً لكثير من الأفراد والجماعات الراغبة في تبني عقيدة التوحيد ، ورفضها لفكرة عبادة الأشخاص ، وعدم إبراز الولاء والطاعة ، والخنوع للإمبراطور ، مما جعل الدولة تتخذ إجراءات لإدماج الآريوسيين ، أو استئصالهم. وكان الآريوسيون بمثابة المعبرّ الديني عن مشاغل الطبقات المحرومة ، ومواساتها ، حتى أصبحت هذه الجماعة الدينية تُنعت بطبقة الفقراء ، على اعتبار أنّها تمسّكت بالمعاني الإنسانية، ومبادئ العدالة الاجتماعية القائمة على مقاومة القهر السياسي، بالصبر، وبقوة الإيمان، للتعبير عن آمال وتطلعات الجماهير التي تعيش في ظل التغالب الاجتماعي، فأصبحت أفضل معبرّ عن إرادة الأهالي ، وأكثر شعبية من الكنيسة التي إنحازت إلى صف السلطة الرومانية (محمد البشير شنيقي، 1984، ص ص 290-291).

لقد تجسّدت الجوانب الاجتماعية للحركة الآريوسية في الدعوة إلى عدم تأليه المسيح ، حيث تجاهل آريوس تهمة رميه بالهرطقة من طرف خصمه إثناسيوس، الذي كان يهيب الطريق إلى نفيه آريوس وعزله ، غير أنّ آريوس ظلّ يحابه عقيدة التثليث، وينفي القول عن عيسى وروح القدس أنّهما آلهة ملتحمة مع الإله الواحد ، حيث يرى أنّ ذلك لا يتوافق مع التوحيد، وأن الإله له طبيعة واحدة لا يتجزأ، وأنّ المسيح مخلوق.

ثانيا: طبيعة وأنواع الممارسات الدينية للحركة الآريوسية:

2. طبيعة الممارسة الدينية للآريوسية:

في ظل صور الإكراه الاجتماعي الذي تلقاه المسيحيون على مدار قرون من الزمن ، كان له الأثر في تكريس العداء بين السلطة المدنية الرومانية ، والمؤسسة الدينية ممثلة في الكنيسة ، وفرقها ومذاهبها، وساهمت هذه العلاقة في خلق جو من عدم الاتفاق بين المسيحيين أنفسهم، بحيث تطورت في بعض الأحيان إلى حدوث خلافات حادة حول مسألة تعميد المرتدين منهم. ولما اجتمع قسطنطين بحليفه ليسينيوس صهره في أوائل سنة 313 م ، تمّ الاتفاق على انتهاج سياسة تسمح بالحرية الدينية التامة لعامة أفراد المجتمع، وجرى إقرار صيغة مرسوم ميلان الذي أرسل إلى إفريقيا وسائر الأقاليم الغربية والشرقية للإمبراطورية، ونظرا لإضطهاد ليسينيوس للمسيحيين، أدى بالإمبراطورين إلى شن الهجوم على بعضهما، وإلى وقوع معارك سقط فيها العدد الكثير من جهة ليسينيوس الذي فرّ إلى بيزنطة سنة 324 م، ولما تدخلت أخت قسطنطين، إكتفى بنفي صهره ، وإنتهت فترة الإضطهاد ، وخضعت الدولة لإمبراطورية واحدة، (السيد الباز العربي، 1968، ص ص 50-51).

1.2 التطور العقدي للآريوسية:

لما حدث الانشقاق في الكنيسة نتيجة ظروف حركات إجتماعية دينية مضطهدة من طرف دقلديانوس، خلّفت أعماله عداء أساقفة له، ودلّ على ذلك وجود تطور يدلّ على شعبية كبيرة للآريوسيين، ولكن تدخل السلطة الرومانية إلى جانب الصف المعارض للكنيسة هو الذي جعل استخدام الدعاية و التشويه لتكفير أتباع الحركة الآريوسية، وكان للسلطة الرومانية اليد الطويلة تنفيذ القرارات، والمراسيم لمصادرات الأملاك، والنفي ،والاضطهاد لهذه الفرقة المسيحية ؛وبالتالي تعتبر الآريوسية الوحيدة التي لم تتعامل مع السلطة الرومانية الوثنية، وبقيت محتفظة بمؤسساتها الدينية، وبممتلكاتها ، رافضة كل الألقاب التي أطلقتها الكنيسة الكاثوليك عليها.

2.2 قسطنطين والمسألة الآريوسية:

أقلية صغيرة من المسيحيين من سكان الإمبراطورية الرومانية، نادى بقسطنطين كإمبراطور سنة 306 م، وذلك نظرا للإضطهاد ،والأقصاء من الوظائف والخدمات العامة بالدولة للآريوسيين ، لكون مذهبهم بغض وقتذاك، لكن فيما بعد شهدت تشريعات لصالح الكنيسة ، إذ صار للأساقفة سلطات

قضائية ودينية مثل ما لسلطات القضاة المدنيين الوثنيين الرومانيين، وتمّ إعفاء المسيحيين من الإشتراك في تقديم القرابين في الأعياد في المعابد الوثنية، واتخذ قسطنطين لنفسه إسم الكاهن الأعظم؛ لم يستخدمه إلا في روما، وإختار القسطنطينة عاصمة جديدة له، ولم يقطع صلته بالتقاليد الدينية الوثنية في روما (السيد الباز العريبي، ص 71).

3.2 المسألة الآريوسية:

كان للكنيسة الكلاسيكية ورجالها الأثر في إقرار الإنحراف عن عقيدة التوحيد، كما كانت الجماع التي عقدتها، المصدر الأساسي في تغيير مسار المسيحية التوحيدية، خصوصا لما بدأ الخلاف والجدل بين أتباع المسيحية المتشبعين بالفكر الفلسفي الإغريقي الرومانية الوثني، حتى أصبحت النظريات الفلسفية تشكّل أغلب القواعد اللاهوتية، وبالتالي تعددت الآراء حول قضية الإلهوية، وطُرحت فكرة تأليه المسيح، وإنقسم المسيحيون بعد ذلك إلى مؤيد ومعارض للفكرة المتعلقة بطبيعة المسيح، وظهرت الآريوسية كمذهب ديني مناهض للقول بتأليه المسيح، (ديورانت وليام جيمس، 1964، ص 362)، حيث رمتها الكنيسة بالهرطقة، التي كانت تعني الكفر. تقدم آريوسي إلى أسقفه البطريكى أنثاسيوس سنة 318 م بجملة من الآراء عن طبيعة المسيح، وراح يتناول على المجمع الديني الأكليريوسي بها، فقام هذا البطريك الاسكندري بعقد مجمع ثاني عام 321 م، وحضره مائة أسقف من ليبيا ومصر، وحكموا على آريوس بالضلال، وقرّروا فصله عن الكهنوت، فغادر آريوس الإسكندرية متجها إلى فلسطين، وإنقطع للكتابة ضد البطريك، بنشر مقالات التّدية، فذاع صيته، وكثر أشياعه وأتباعه، ثم إنتقل إلى نيقوميديّة، عاصمة الروم الشرقية؛ حيث الأسقف أسبيوس الذي أكرم وفادته، ولاحقه خصومه، وكتبوا إلى قسطنطين يؤلّبونه عليه، غير أنّه لم يغتر الحاكم بما كتبه الخصوم، فإشتدّ الخلاف فأمر الإمبراطور بعقد مجمع لتوطيد السلم الإجتماعي، وقرر إثبات عقيدة التثليث، والقول بمساواة الابن لأبيه في الجوهر، كما شملت قراراته تحريم نشر تعاليم الآريوسية، وتم إحراق كتبها، والحجر على بيعها، واستمر العمل بهذه الأوامر حتى حلّ عهد كونستانس سنة 327 م الذي مال إلى مذهب آريوس، وجعله دينا للرومان، لكن عاجلة الموت داهمته بعد سنة واحدة من حكمه، ليخلفه اثيوديوس الثاني سنة 328 م، المتعصّب للتثليث، فمنع الآريوسية، واضطهد أتباعه بالتشريد والنفي، وانتشر في الكنائس المسيحية القول بالإنحد والحلول والتشبيه والتجسيم (عبد العزيز الثعالبي، 1985، ص 139). وكانت لتلك الآراء السابقة الدافع الفعلي لعقد مجمع نيقية سنة 325 م

ولأجلها (زكي شنودة، 1968، ص 150) ، وتم إقرار التثليث في هذا المجمع بدل تقرير التوحيد وأعلنت الكنيسة الكاثوليكية انتصارها ليتم الأمر بإحراق كتب آريوس وإعدامها ، فلم يصلنا منها شيء ، ولولا ما كتب من أخبار آريوس وآرائه في الكتب التي ردّت عليه لما عرفنا عنه شيئا (محمد أحمد الحاج، 1992، ص 168).

4.2 من هو آريوس ؟

هو ذلك العالم الزاهد الواعظ المرشد الذي تجمّع حوله عدد كبير من رجال الأكليروس، آثروا الإصغاء إليه (أحمد شلي، 1967، ص 118)، تمّ تعيينه قسّاً مقاوما لرجال الدين المنحرفين بالكنيسة الإسكندرية المتشبعين بالفلسفة الإغريقية، وبالأفلاطونية الحديثة التي تقول بالتثليث ، والتي قاومت آريوس وانضمت هذه الكنيسة الإسكندرية إلى كنيسة الروم، (رستم أسد جبريل، 2000، ص 193)، وقامت بإعدام رسائل آريوس التي حوت خلاصة عقيدته، التي لخصها زكي شنودة بقوله : " إنّه يؤمن بإله واحد متعال ، يفوق حد التصور بحيث لا صلة له بتاتا بأي شيء له نهاية ، وهو فريد لا شبيه له ، أزلي لا بداية له ، صالح ، وهو وحده سبحانه ينفرد بهذه الصفات ، وعندما شاءت إرادته أن يخلق عالما ذا نهاية إحتاج إلى وسيط ، ولم يكن في هذا الوسيط قوة خالقة ، وإنّما كان عاملا بسيطا علّمه الآب كيفية القيام بهذه المهمة ، وهذا الوسيط لم يأت من عند الآب بأن صدر عنه أو إنحدر منه ، ولا يمتاز عنها إلّا بكونه خلق قبلها ، وبأنه كان الواسطة التي إستخدمها الله في عملية الخلق ، ثم بعد ذلك في عملية الفداء ، وهو ليس مساويا للأب في الجوهر ، بل بالعكس تتغير طبيعته مثل أي مخلوق ، وهو كأني مخلوق أيضا قادر على عمل الخير والشر، وهو أيضا : معرّض للخطأ ، ولا يستطيع أن يحيط بكل شيء " (زكي شنودة، 1968، ص 151).

فيرى آريوس أنّ الله واحد غير مخلوق وكل ما سواه مخلوق ، فكلمة الله لا يمكن أن تكون إلّا مخلوقا ، ويرى أنّ الكلمة لم يكن موجودا في زمن ما ، وأنّ الله لم يكن آبا في ذلك الزمن ، فليس الكلمة إذن من جوهر الآب ، هو مخلوق لا ينتمي إلى الإلهية ، متغير ومتبدّل تبناه الله لمزاياه السامية، (عبد المجيد الشرفي، 2007، ص 86). فأريوس الذي دعا إلى التوحيد لم يكن ليقبل فكرة الثالوث، وكان يتصوّر الثالوث على أساس أن الله خلق كائنا كاملا هو " الكلمة" ثم خلق الكلمة الابن بدوره كائنا كاملا آخر هو الروح القدس، أما توحيد آريوس فيتصور أن الله واحد فرد غير مولود، لا يساويه شيء في ذات الله، وكل ما كان خارجا عن الله الأحد، إنّما هو مخلوق من لا شيء، وبإرادة الله ومشيتته.

لقد حاول آريوس إعطاء الصورة الكاملة عن الله الآب في ألوهيته، وحاول بيان الدور الكبير للمسيح الإبن ، رافضا وجود إنقسام من الآب الجوهر النهائي، وبالتالي أنكر لاهوت المسيح، وقال بخلقه من العدم، وأنه غير مساوي للآب في الجوهر، ولم يكن أزليا، ومجازا يطلق عليه إبن الله، وهو من ضمن المخلوقات فقط. سجّل لنا التاريخ المناظرة التي جرت بين آريوس واثناسيوس بحضور الإمبراطور الروماني، حيث تعدّ هذه المناظرة المصدر الوحيد لبيان عقيدة آريوس التي ترى : " أن الإبن ليس مساويا للآب في الأزلية، وليس من جوهره، وقد كان في الأصل وحيدا ، فأخرج الإبن من العدم بإرادته. والآب لا يمكن أن يراه أو يكتيفه أحد ، ولا حتى الإبن ، لأن الذي له بداية لا يعرف الأزلي " (زكي شنودة، 1968، ص 154).

وهذا الشرح لم يرق للإمبراطور قبوله، لقلّة علمه بالمسيحية ، فتصدى لهذه الآراء أسقف الإسكندرية اثناسيوس، ودارت بينهما هذه المناظرة (زكي شنودة، 1968، ص ص 155-156). ولا شك أنّها وصلت إلينا في شكل مقتطفات مبتورة ، وأنّها تعرّضت لشيء من التزوير ، لأنّها وصلت إلينا عن طريق مؤرخين مسيحيين معارضين لآريوس (محمد أحمد الحاج، 1992، ص 172).

يقول ول ديورانت حول هذه المناظرة : " أن قوة المنطق تبرز في كلام آريوس التي أفحم بها مناظره اثناسيوس الذي صور أشخاصا ثلاثة في صورة إله واحد، وهو من الصعوبة فهمه، ولكنه قال بأن العقل يجب أن يخضع لما في الثالث من غموض "، (ديورانت ول ، 1964، ص 154)، في حين أشار آريوس إلى أنّه إذا كان المسيح ابن الله فلا بد أن يكون أصغر من الله ، وبذا يكون أقل شأنا من الله ، وإذا كان من صفات الله الخلود الذي لا أول له ولا آخر، فليس المسيح خالدا ، لأنّ له بداية، ولذا ليس إلها (السيد الباز العربي، 1968، ص 73).

ثالثا : إنتقال الحركة الأريوسية من الاضطهاد إلى الانتشار.

بعدها وصلت أخبار إنشقاق الأريوسية عن كنيسة الإسكندرية ، وخروج آريوس إلى فلسطين محتميا بأسقفها المؤرخ أفسايبوس؛ والمناصر لآرائه خفية دون الجهر ، ثم خرج إلى نيقومدية أين أقنع أسقفها بآرائه ، فأصبح فعلا يهدد أمن الإمبراطورية الرومانية ، والسلطة اللاهوتية الكنيسة ، وبذلك أرسل الإمبراطور إلى أسقف الإسكندرية وآريوس يعرض الصلح بينهما حول طبيعة المسيح ، لتحقيق الوحدة الدينية ، ومنها توظيف جهده للسيطرة على كنيسة روما وإستخدامها لصفه ضد أي حركة معادية ، فكان مجبرا على الميل

إلى سياسة المصالحة ، وتبني سياسة السلم ؛ هذه السياسة التي استفاد منا في النهاية الآريوسيون في تنظيم أمورهم، وفي رصّ صفوفهم، مستغلين فترة الهدوء الذي أقتره مرسوم التسامح سنة 321 م. 3. الآريوسية وأبعادها العقيدية حول طبيعة المسيح:

انتشرت مقولات تأليه المسيح بناء عن التناقض في التصورات حوله، فكان من يراه رسولا ككل الرسل ، وآراه آخرون إلهًا ، واشتدت الخلافات الإيديولوجية بين الجماعات المسيحية ، فكانت الحاجة ماسة لفضّ النزاعات الدينية هذه . فيقول أحمد شلي : " " وقد اهتدى قليل منهم [أي المسيحيين] إلى الحل الصحيح وهو القول بالتوحيد الخالص، وترك القول بالتثليث ، وقد كان لهذا الرأي أتباع من المسيحيين على مدى العصور وفي مختلف البلاد ، ومن هؤلاء برنابا وهو من الحواريين وآريوس المصري (ت. 336 م).... وغير هؤلاء مئات أو آلاف من المفكرين المسيحيين ظهوروا في مختلف الأزمنة والأمكنة ، ولكن صيحة هؤلاء لم تتغلب على ضجيج الكنيسة وقديسياتها ، ولم تصل إلى قلوب العامة والجماهير " (أحمد شلي، 1967، ص 118). مع بقاء علماء كثيرون يصرحون بأنّ المسيح لم يكن إلّا رسولا، وأنّه لم يكن أكثر من بشر، واقتبسوا ذلك من الأناجيل نفسها، فيقول أبو زهرة : " فهذا رينان قد جهر بذلك في قوة وجراءة ، ولم يمنعه حرمان الكنيسة له من الإصرار على رأيه والذود عنه ، وهذا تولستوي ينكر على المسيحيين إلهية المسيح، وتنتهي نتائج بحثه إلى أنّ بولس لم يفهم تعاليم المسيح، بل طمسها، والكنيسة زادت تعاليم المسيح بالنسبة للإعتقاد غموضا وإخفاء (محمد أبو زهرة، 1404هـ، ص 225) . ويضيف محمد أبو زهرة قوله: " ويذكر تولستوي إلهية المسيح ، وإلهية روح القدس ، ويعتقد بأنّ الله واحد أحد فرد صمد، وينكر أن تكون كتب النصارى كتب إلهام ، ويعلن في جرأة أنّها حرقت وإعتراتها التغير والتبديل " (محمد أبو زهرة، ص 226).

إنّ فلسفة مدرسة الإسكندرية وفلسفة الإغريق هما اللتان دفعتا بالمسيحيين إلى القول بإلهية المسيح ، أو القول بتعدد الآلهة، وأنّ الاضطهاد الذي لاقاه المسيحيون في عهدهم الأول دفعهم إلى الهجرة ، فرحل بعضهم إلى الإسكندرية فأخذوا عن مدرستها ، ورحل البعض إلى روما فأخذوا عن الوثنية الرومانية ، ومنهما جاءت المسيحية الحديثة والمعاصرة، إذ إستمر مذهب آريوس بطريقة عرضه لعقائده، تكاد تكون جماعة شهود يهوه في عصرنا تستخدم أفكاره، بأنّ المسيح ليس هو الله، ولايس واحد مع الله في الجوهر، لكنه مخلوق من مخلوقات الله.

1.3. الكنيسة الآريوسية والدولة في مجمع نيقية:

عقد الإمبراطور الروماني قسطنطين مجمع نيقية بناء على إقتراح تقدم به أسقف إسبانيا هوسوس الذي فشل في إقامة الصلح بين آريوس وإثناسيوس بطريرك الإسكندرية، ورئيس شمامسة وأسقفية أنطاكية، وأسقف قيصرية فلسطين، وأسقف القدس، وحضر مع آريوس أتباعه أساقفة نيقوميديّة، ونقية، وخلقيدونية، ومعهم عدد من المفكرين والفلاسفة، وقد بلغ الحاضرون نحو الألفين (ركي شنودة، ص 138). إستعمل الإمبراطور سلطاته في هذا المؤتمر لفرض الآراء المؤهلة لطبيعة المسيح، التي دافع عنها الفلاسفة الوثنيون، لقربها من العقيدة الوثنية، ولم يؤيد جميع الأساقفة القول بالتثليث، ولم يدافعوا عنه، بل هناك من رفض التوقيع على الصيغة التي خرج بها المجمع (وليام جيمس ديورانت، 396)، والتي وقّع عليها سوى ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا فقط، عرف ت بوثيقة الأمانة، أو قانون الإيمان (الشهرستاني، 1992، ص 179).

حيث سجل الحاضرون الروح الدغمائية المتحجرة في إطار تنظيم كنسي متزايد الإحكام، وذلك في إطار علاقات متينة بين السلطة المدنية الرومانية، والسلطة الدينية المسيحية، حيث كسب الإمبراطور سلطة الكنيسة وجعلها فرعاً من فروع الدولة، واستحسنت الكنيسة تشكيلها على غرار الدولة العلمانية وتنظيماتها لتفوز بالنفوذ، فعمل على إمكانية التقريب بين المسيحية الكريستولوجية (تجسد الكلمة) الإثناسيوسية، والوثنية، لتوحيد الأمة الرومانية، أما المعارضين له فلم يؤخذ برأيهم، وأصبحوا أعداء للدولة ولرجال الكنيسة على السواء، ومن هؤلاء الأعداء آريوس الذي حكم عليه بالنفي، واللعن، والحرمان، ومنع تداول كتبه، حتى لا يطلع عليها الناس. فرغم ذلك فإنه بقي صامداً على عقيدته، إلى حين عدول الإمبراطور عن ملاحقته لآريوس، بعد الوساطة التي قام بها أسقف فلسطين يوسافيوس، الذي كان يخفي آريوسيته، وأصبح بطريركا للقسطنطينية، ينشر خفية عقيدة الوجدانية. فلم تمر ثلاث سنوات على إنعقاد مجمع نيقية حتى إنقلب قسطنطين على المناصرين له، ودعا الآريوسيين، وأريوس نفسه إلى العودة من منفاهم، وأرجعهم إلى مناصبهم، (السيد الباز العربي، ص 80)، وتمكّن الآريوسيون من تطهير الشرق من أنصار قانون نيقية بعقد مجامع محلية خلعت الأساقفة المؤيدين للمسيح، ومنهم اثناسيوس، (محمد أبو زهرة، ص 143).

لقد كان لقرارات قسطنطين القضاء على الحركة الآريوسية كضمان لوحدة الكنيسة، ولكن الفوضى العقائدية ما لبثت أن انتشرت وظهرت بوضوح بين الغرب اللاتيني المتشبهت بقرارات مجمع نيقية من جهة،

وبين الشرق اليوناني الأرثوذكسي الذي يرى في التمسك بعبارة " المتساوي مع الآب في الذات والجوهر " بدعة غير مقبولة من جهة ثانية. وانتشرت أيضا مقولة آريوس في القسطنطينية وإنطاكية وبابل ، وفي مصر والإسكندرية - التي لفظ فيها آريوس أنفاسه لما عاد إليها بعد النفي في غمرة الاحتفال العظيم بعودته. استطاع آريوس بمقالاته أن يجعل من الكنائس الشرقية موحدة ، في حين ظلت الكنائس الغربية مؤهلة ، ثم سعت المجامع إلى التضييق على الموحدين بالعزل والنفي والحرمان ، واستخدمت المجامع لهذا الأسلوب لكل مخالف لها، لتتمكّن من تثبيت أركان عقيدة التثليث.

2.3. استمرار الحركة لأريوسية بعد نيقية:

استمر الجدل الأريوسي بعد مجمع نيقية وقام بالدعوة لهذا المذهب كل من ملوك القوط الشرقيين وفرضوه فعلا في بلدانهم، وفي المقابل حدث إنكماش لها في الإمبراطورية البيزنطية أعقاب مجمع القسطنطينية الأول عام 381 م، مع بقاء قبائل جرمانية واللومباردية في ألمانيا تدين بالمذهب الأريوسي حتى القرن الثامن. وبدأ الأريوسيون أكثر قدرة على تجنيد صفوف القوطيين الشرقيين لتتحول هذه الحركة من الانشقاق الديني إلى الانتشار بعد سلسلة العنف التي حصل لها من قبل السلطة الرومانية.

تميّزت خصال الأريوسية بالصفات وأخلاق الحسنة ، والعفة ، حيث يتحدث عنها السيد الباز العريني، من خلال حديثه عن القوط الجرمان الشرقيين، فيقول: " وإذا جرت صيانة عقّتهم ، عاشوا دون أن تفسدهم مغريات المظاهر العامة ، أو ميزات اللّهُو والفجور، ولم تكن رسائل الحب العفيفة معروفة عند الرجال والنساء سواء. وقلّما جرى الزنا بين هذا العدد الكبير من السكان، وفي وسع الزوج أن يبادر إلى إنزال العقوبة على الفور متى حدث ذلك. إذ الزوج يطرد الزانية من داره، بحضور قومها بعد أن يقصّ شعرها ، ويجرّدها من ملابسها، ثم يجلدّها بسوط، أثناء طوافه بها في القرية، فلا مغفرة لمن فقدت عقّتها، ومهما كان للزانية من جمال وشباب وثروة، فلن تحظى بزواج، فما من أحد جرمانيا يقرّ الرذيلة، أو يعتبر الفساد والإفساد من سبل الحياة " (السيد الباز العريني، ص 109).

فبالرغم من استمرار الحركة الأريوسية إلا أنّ الكنيسة الكاثوليكية المناصرة للدولة الرومانية والناطقة الرسمية باسمها استطاعت أن تقضي على هذه الحركة التوحيدية وعقّتها لتعمّم أفكارها المنحرفة التعددية على الناس حتى اعتقد المسيحيون بأنّ التثليث أصل النصرانية.

3.3 حركة الجدل الأريوسي الكاثوليكي:

حفظ لنا الادب المسيحي تاريخ الصراع الديني منذ ظهور المسيحية إلى بعد المجامع الكنسية ،
وسمح لنا الجدل الديني بتسليط الضوء على الآريوسية خلال القرن الثاني، وبداية القرن الثالث إلى غاية القرن
الخامس الميلادي من خلال الإدعاءات والإدعاءات المضادة ما بين اتجاهين متناقضين ، كلاهما يهدف إلى
إقناع الطرف الآخر برأيه، باستخدام الحجج والبراهين، التي يعتقد سلامتها وصحتها في مقابلة حجج الخصم،
فبيّنت حركة الجدل، الخلافات المتمثلة في مشكلة الإتحاد الكنسي، إذ يعتبر الكاثوليك بأنّ كنيستهم هي
الممثل الوحيد للمسيحيين، وفي رأيهم هي تنظيم بسيط واضح الفهم، تعبّر عن حقيقة وحدة القلوب وتوحيد
المشاعر، وأنّ خصومهم هم أبناء الكفرة الذين خرجوا من حضنها وإنفصلوا عنها، وأزالوا جذورهم منها
بالأخطاء والأحقاد ، وابتعدوا عنها بمعاصيهم، وعلى عكس ذلك فإنّ الآريوسيين يعتبرون أنفسهم ورثة
المسيح، وأنّ أعداءهم وخصومهم في الكنيسة الرسمية هم أبناء الإثم، والخطيئة. ووجه الآريوسيون دعوة إلى
المؤمنين إلى الإلتحاق بكنيستهم والهروب من الكنيسة الكاثوليكية، بقولهم: " أهرب وأترك كنيسة الخونة ،
ولا تترك آثار أجدادك بتقديسك للخطأ " (Brisson, (Jean Paul), 1958, p 137). على إعتبار أنّ كل
من ينتمي إلى الكنيسة الكاثوليكية والسلطة الرومانية آثم وجبت معاقبته عن طريق المقاطعة، وعدم التعامل
معه، إلى الحد الذي حرّم فيه الآريوسيون منادة الكاثوليك بالأخ أو الأخت، وحرّموا مصافحة الكاثوليك،
وعزلوا أنفسهم عنهم، معتقدين بأنّ ذلك يسمح لهم بالمحافظة على طهارتهم ممّن يعتبرونهم مدّنسين بالكفر
(خديجة منصوري، 2002، ص 31 - 43) . وبيّنت المجادلات أنّ الآريوسيين كانوا على قدر كبير
من الإطّلاع، والقدرة على تأويل وشرح النصوص الدينية، للردّ على أطروحات الطرف المخالف، واستطاعوا
أن يؤثّروا في أتباعهم، لا سيما بسطاء النّاس، الذين وجدوا في قطع العلاقات مع الكنيسة ، ما يعبّر عن
رفضهم للسلطة الرومانية. ولما مات آريوس، وجاء أنصار الآريوسية بصيغ لتعويض الصيغة المنبثقة عن نيقية
، فأنكروا إلهية المسيح ، واستعملوا للدلالة على اختلاف المسيح عن الله العبارة اليونانية: (أنوميوس) ،
وجاءت تسمية نزعتهم ب " (الأنومية) أي: نفي التشبيه ، غير أنّ قسطنسيوس في مجمع القسطنطينية
المنعقد سنة 381 م أعلن ميله إلى النيقيين، كما فسخ المجال يوليانس للوثنيين ومكّنهم من إعادة تنظيم
صفوفهم، وعمل الإمبراطور ثيودوسيوس الأوّل -صاحب الأصل الإسباني من فرض على رعاياه بالقوّة اتباع
الكاثوليكية، وعيّن على كرسي بطرس (غريغوريوس النازياني) (ت. نحو سنة 390 م) أسقفا على
القسطنطينية بعد أن كان الآريوسيون يحتلّون هذا المنصب طيلة أربعين سنة، وقاوم دعوة آريوس. وبذلك تمّ

القضاء مؤقتا على الآريوسية على المستوى العقائدي قبل أن تعتنقها الشعوب الجرمانية التي أمدت هذه الحركة بنفس جديدة، والتجأ الآريوسيون إلى التقية خوفا من الإضطهاد ، وأصبحت الكتلركة في آخر عهد ثيودوسيوس، الدين الرسمي للعالم الروماني بأسره ، بعد أن مُنعت الوثنية وأُغلقت معابدها ، ولم تنته الخصومة حول المسيح، فكان ردّ المدرسة الأنطاكية على الآريوسية بمثابة التأكيد على طبيعة المسيح البشرية الكاملة، وتزعم هذه المدرسة التي يتزعمها ديودوروس الطرسوسي (ت. سنة 394م) ثم خلفه في الدفاع عن نظريته تلميذه ثيودوروس المصيصي .ت. سنة 428 م) والذي كان له التأثير بعقيدته في تلميذه نسطور .ت. سنة 450 م) والقائل بالإنثنية الأقنومية في المسيح: " طبيعة الله (الكلمة) طبيعة كاملة ، كما أنّ الطبيعة البشرية في المسيح كاملة أيضا ، والإتحاد بين الطبيعتين هي اتصال أو حلول. فالذي ولد ومات هو الإنسان، فعيسى ليس ابن الله حقا، وإنما أصبح أهلا لهذه التسمية ب " النعمى " (رستم أسد، ص 379). ويذكر الباحثون حول انتشار الآريوسية في نفوس بسطاء الناس الناقمين على الوضع القائم في الكنيسة، وفي الإمبراطورية على السواء، لما إستفاد الآريوسيون من وضع التسامح ، وعودتهم من منفاهم ، ولم يمنع القمع لحركتهم من الإنتشار، وظلّت متكّلة في مقاومة الكاثوليك. غير أنّ الإضطهاد ما فتى يعود من عهد إلى آخر حيث تمت بمصادرة الأماكن التي يجتمعون فيها كمنشقون.

وهو الذي قاد الجيش إلى (غاليا) ثم جرمانيا سنة 365 م واستولى على الإمبراطورية بعد ما كرّس العلم .توفي سنة 375 م (23 p, 1857, Dictionnaire Universel).

إن الوسائل التي استخدمتها الإمبراطورية الرومانية والكنيسة من قمع وإضطهاد للقضاء على الحركة الآريوسية في مرحلة من المراحل، إستخدمت معها أيضا أسلوب اللّين والاستمالة علّها تمتصّ جذور هذه الحركة، لتحسس الرّومان بخطورها خصوصا حينما التصقت بمحيطها الغربي، مما أضّر بمصالح الموالين للكنيسة الذين استخدموا وسيلة الاختراق والعمل من أجل تفتيت وحدة الآريوسين، والتي ظلت متماسكة منذ عهد ما قبل قسطنطين. لقد فقدت الآريوسية دعم البلاط الإمبراطوري، وظلت تواجه مصيرها في بعض القبائل العربية جنوب بلاد الشام، حتى زمن البعثة النبوية ، بداية من القرن السابع للميلاد ، أمّا في ألمانيا فقد ظلت بعض المناطق آريوسية بدعم ملوك القوط الشرقيين لها حتى القرن الثامن للميلاد. ولما جاء الإسلام وانتشر في البلاد التي كانت تابعة لبيزنطة، استقبل المسلمون فرقي اليعاقبة والنساطرة المسيحيين وساعداها في التحرر من طغيان الروم، رغم انتسابهم جميعا إلى المسيحية.

4.3 انتشار الآريوسية في الشرق الأدنى:

يعود سبب إنتشار الآريوسية في الشرق الأدنى لعودة آريوس من النفي، من بلاد الروم الى مصر حيث عكف على نشر مذهبه هناك، وفي البلاد المتصلة بها حتى شاع ودان به غالبية الفلاحين، بل السواد الأعظم من الناس تبعه، وكانت أغلب بلاد العرب لا يعرفون المسيح إلا من تعاليم آريوس، إلى غاية مجيء الإسلام الذي أشار للآريوسية وأنها على دين التوحيد، لذلك قام النبي -صلى الله عليه وسلم- بحمايتهم والدفاع عنهم. ويذكر عبد العزيز النعالي أنّ راهبا مصريا اسمه موسى كان على مذهب آريوس نزل إلى جزيرة العرب في القرن الرابع، ودعا العرب إلى النصرانية فتنصّرت على يده زوجة الملك (موفيا)، وتبعها خلق كثير، أما بنو غسان فقد تنصّروا في عهد (فالتين) بواسطة رهبان الصحراء، ويذكرون أنّ أشهر القبائل التي اعتنقت النصرانية بعد الغساسنة، ربيعة، تنوخ، تغلب، بھراء، بعض طي، قضاة، أهل نجران (عبد العزيز النعالي، 1958، ص 152).

5.3 الوندال الآريوسيون:

حلّ باسبانيا الوندال، وهم ينتمون إلى الجرمان الشرقيين، غادروا ساحل البلطيق في زمن سابق على زمن هجرة القوط، وفي القرن الثاني كان الوندال قد تحرّكوا نحو البحر، وما حدث من شجار بين القوط والوندال حملهم على إجتياز الدانوب الأعلى، وأضحوا مخالفين للإمبراطورية، وفي سنة 406م تفرقت جموع فرسانهم في أنحاء فرنسا، واجتاز الوندال جبال البرانس، ثم هبطوا إلى إسبانيا فواصلوا أعمال النهب والتخريب (محمد العربي عقون، 2002، ص 119).

6.3 أوغسطين والآريوسية:

ظل أوغسطين (354-430 م) أسقفا لهيبو (بونة) [عناية حاليا] بشمال إفريقيا في الفترة الواقعة بين (396م-430م) حيث حدث سنة 410م نهباً لروما على يد (الريك)، شكّل صدمة للإمبراطورية الرومانية، حيث فرّ اللاجئون إلى شمال إفريقيا، وإلى مصر، ومنهم عدد كبير من الرّاهبات، ولما غزا الوندال إسبانيا نزح عدد كبير إلى إفريقيا أيضا، وقام أوغسطين بإصدار فتوى لرجال الدين أن يبقوا في كنائسهم وأديرتهم، وحينما عبر الوندال الآريوسيون إلى إفريقيا وحاصروا (هيبو)، قضى أوغسطين نحبه قبل سقوط المدينة في أيديهم (السيد الباز العريبي، ص112). وفي سنة 416م شهدت روما قتال المتبريرين في إسبانيا بتدعيم الوالي ملك القوط الغربيين، غير أنّ الوندال والقبائل الجرمانية أنزلوا الضربات العنيفة بالقوات الرومانية

واستولوا على المدن الساحلية بالجنوب، بفضل قوتهم البرية والبحرية، ورأى الوندال في إفريقيا من الأمل والاستقرار ما لم يصادفوه في إسبانيا بعد أن تعرضوا للضغط الشديد من قبل القوط الغربيين، وأن إفريقيا هيأت لهم الأحوال في تحقيق أملهم، إلى جانب تجنبهم النزاع الديني الذي وقع بين المسيحيين من الأرثوذكس والدوناتييين. وتولّى قيادة الوندال في إفريقيا ملكهم (جازيريك)؛ وهو من أشهر زعماء تلك الفترة التاريخية حيث فاق سائر زعماء المتبريرين باستثناء (ثيودوريك، وكلوڤيس) ببراعته السياسية، فاجتاز مضيق جبل طارق بقومه الذي بلغ عددهم ثمانين ألفاً من الرجال والنساء، والأطفال، (السيد الباز العريني، ص 96) جرى الوندال في سياستهم بإفريقيا على مصادرة أملاك رجال الدين الأرثوذكس، وإضطهادهم لارتباطهم في المؤامرات التي كانوا يمحكونها ضد الوندال الآريوسيين، وبعد وفات جازيريك سنة 477 م، تداعت دولة الوندال بأفريقيا: (السيد الباز العريني، ص 97).

اعتنق القوط الشرقيون المسيحية الآريوسية في مقابل اعتناق الرومان الكاثوليك في عهد ثيودوريك الذي حرص أن يعيش الرومان والقوط معاً، يشاركون سويًا في سائر الأعمال، غير أنّ السياسة الدينية هذه باءت بالفشل لأنّها قامت على التفرقة العنصرية، وأنّ القوط لم يقبلوا أسلوب الرومان في الحياة، وليسوا مستعدين للتخلي عن عقائد أسلافهم (السيد الباز العريني، ص 117)، وما حدث بين سنة 496 م، 518 م تحوّلت الفرنجة إلى المسيحية الكاثوليكية بعدما كانت وثنية، وأضحى الإمبراطور البيزنطي في القسطنطينية سنة 518 م أرثوذكسياً، فتهيأت للإمبراطور ثيودوريك الفرصة للتحالف مع الفرنجة لتدمير مملكة القوط الشرقيين أتباع المذهب الآريوسي، وأوفد ثيودوريك إلى القسطنطينية البابا يوحنا الأوّل، ليقنع الإمبراطور (جستين) بالتسامح مع الآريوسيين في الدولة البيزنطية، ولما عاد البابا إلى روما سجنه ولم يلبث يوحنا أن مات في سجنه، لأنّه رأى في حفاوة الإمبراطور بالبابا انتقاصاً له، وأصدر ثيودوريك قراراً بتسليم جميع الكنائس الكاثوليكية إلى الآريوسيين، غير أنّ هذا القرار لم ينفذ، نظراً لوفاته، فاعتبر الكاثوليك موته جزءاً من الله، على أنّ إختيار مملكة القوط الشرقيين الآريوسيين يرجع أساساً إلى حملات جستينيان لاسترداد إيطاليا (السيد الباز العريني، ص 118).

كيف انتهت الآريوسية ؟

أصبح تاريخ الآريوسية مجهولاً حين سيطرة الكاثوليكية، ونتيجة الاضطهاد الذي دفع بالآريوسيين إلى التستر، والتظاهر بأنهم من الكاثوليك. فلمّا جاء الإسلام سارعوا إلى الدخول فيه، وكانوا خير عون

للفاتحين، لأنهم وجدوا في الدين الجديد الخلاص من ظلم الكنيسة الكاثوليكية، ووجدوا فيه ما يتفق وعقيدتهم في المسيح. وتذكر لنا السيرة أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم كتب لجميع الملوك المعاصرين له كتابا يدعوهم فيها للإسلام، وكان ممن كتب لهم هرقل؛ ملك الروم، وكان نصرانيا، حيث حملته إثم الآريوسيين إن لم يؤمن، وهي الفئة التي كانت تشكل غالبية قومه، وكانوا يؤمنون ببشرية المسيح، وينكرون إلهيته، وكانوا يُكرهون على القول بالتثليث من قبل دولة الروم.

إن الحركة الآريوسية رغم الإضطهاد، إلا أنّها تظهر بين الحين والآخر بأسماء متعددة، وقد أعاد دعاة الإصلاح البحث فيها خلال القرن السادس عشر، فوقف الكثير منهم على التعبيرات القديمة، المخالفة لمسألة الطبيعة الإلهية، كنفي طبيعة الألوهية عن المسيح، فينقل عبّاس محمود العقاد رأيه عن (سوسنس) الذي نشأ في بولونية، والذي قرر أنّ الإله لا يحلّ في البشر، وأنّ السيّد المسيح إنسانا كسائر البشر (عبّاس محمود العقاد، 1949، ص175).

خاتمة:

أتضح لنا من خلال هذا البحث سياسة الإمبراطورية في محاولات الإختراق الداخلي للحركة الآريوسية بعد ما فشلت في القضاء عليها بالاضطهاد، ودعمت أجنحة موالية لها من المحسوبين على الآريوسيين، على أنّها ممّن يمثل فعليا الحركة الآريوسية. لقد ولدت الحركة الآريوسية كحركة جدل، تناولت الكثير من القضايا التي ترتبط بالدين المسيحي، وبالقضايا اليومية، ومنها التعميد وإعادة التعميد، وبالقضايا العقائدية حول طبيعة المسيح، وأظهرت الجدل المسيحي الكاثوليكي على المستوى الفكري والفلسفي العالي، رغم أنّ كتابات المجادلين الآريوسيين لم تصلنا إلّا من خلال ردود خصومهم الكاثوليك، مما يجعل الدراسة تعتمد على حكم أحادي الجانب، يجب أن يؤخذ بكثير من الحذر.

لقد أضعفت الحركة الآريوسية الكنيسة، وحليفاتها السلطة الرومانية، و ساهمت في إضعافهما على يد الوندال، الذين وجدوا نظاما رومانيا هشاً، أزهقته الاضطرابات الداخلية، نتيجة الثورات التي لم تنقطع ضد الوجود الروماني، وذلك ما عجل بنهايته سنة 430 م.

هذا ما وفقنا إلى جمعه وتلخيصه من تاريخ المذهب والحركة الآريوسية، وما نستنتجه هو وجود حركات قديمة انتشرت في العالم قبل الإسلام، كانت عقائدها في الله، وفي المسيح موافقة تمام الموافقة للتعاليم

الإلهية التي جاء بها الإسلام ، وكذلك ثبت أنّ البدع التي لحقت بالمسيحية ليست من طبيعتها ، بل انتقلت إليها من الأديان القديمة، بعد أن إحتكّت بالمجاورين لها من اليونان، والرومان، والمصريين، والفرس، والهنود. ولما أقبلت عناصر هذه الأمم على المسيحية، حملوا إليها كل ما وقر في نفوسهم من عقائد أديانهم من أهل اليونانية والمجوس. وفي القرن الثامن انقضت عقائد التوحيد والتنزيه الذي كانت تمثله الآريوسية. ولم تجد المسيحية معبراً عن حقيقتها تعبيراً صحيحاً مطابقاً للواقع غير الإسلام.

قائمة المراجع:

- 1- أبو زهرة محمد ، (1404هـ)، محاضرات في النصرانية ، مطابع العزيزية ، الرياض.
- 2- بن مبارك الميلي محمد ،(1963)، تاريخ الجزائر القديم ، ج 1، مطابع بدران ، بيروت .
- 3- أحمد الحاج محمد ،(1992)،:النصرانية من التوحيد إلى التثليث ، دار القلم، دمشق .
- 4- آيدرس(بل)،هارولد. (1973)، مصر من لإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي (دراسة في انتشار الحضارة الهيلينية.واضمحلها) ، ترجمة : عبد اللطيف أحمد علي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت .
- 5- وليام جيمس ديورانت ،(1964)، قصة الحضارة ،ج11، ترجمة: محمد بدران، مطبعة جامعة الدول العربية.
- 6- منصور خديجة ،(سبتمبر 2002م)،"الصراع الدوناتي الكاثوليكي"مجلة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية،العدد 12، قسنطينة .
- 7-نعيم فرح ،(1984) ، تاريخ بيزنطة (ق 4-ق 8 م) ، ج 1، مطبعة طربين ، دمشق .
- 8- عقون محمد العربي ،(جوان 2002)، من أعلام المغرب القديم.القديس أوغسطين، الحوار الفكري ، العدد 03،جامعة منتوري ، قسنطينة .
- 9- العربي السيّد الباز (1968)، تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت .
- 10- العقاد عباس محمود (1949)، الله -جلّ جلاله ، ، المكتبة العصرية، بيروت.
- 11- لثعالي عبد العزيز ،(1985)،محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- 12- الخطيب عبد الكريم ، (1976)، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، دار المعرفة للطباعة والنشر،بيروت.
- 13- رستم أسد جبريل ، (2000) . كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى، ج 1، المكتبة البوليسية ،بيروت،
- 14- شارل جنير ، (2005)،المسيحية نشأتها وتطورها،ترجمة:عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت.
- 15- شلي أحمد ،المسيحية ،(1967)،.الكتاب الثاني، مقارنة الأديان ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،.
- 16- شنودة زكي ،(1968).تاريخ الاقباط ج 1، جمعية التوفيق القبطية لجنة التاريخ والنشر فايقة محفوظ للتدريس المهني بحدائق القبة.
- 17- شنيقي محمد البشير: (1984 م)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة

الوطنية للكتاب، الجزائر .

18- الشرفي عبد المجيد، (2007)، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي

، الدار التونسية للنشر، تونس .

20- Brisson, (Jean Paul), (1958), Autonomisme et christianisme dans L'Afrique Romaine (de septième siècle à L, invasion vandale) , éditions.E.de Bocard ,paris.

21-Dictionnaire Universel, (1857), d'histoire et de géographie, Paris.

22-Encyclopédie General. (1967), Larousse t.1, i braire, larousse ; paris.

23- Gsell, (Stéphane) ,L Algérie dans l ; antiquité.

24-Nouveau Larousse Université, (1969), T,2, Edit, Libraire Larousse, paris.